جامعة الدول العربية

مجلة معهد المخطوطات العربية

المجلد الرابع الجزء الأول

مايو ١٩٥٨
شوال ١٣٧٧

رســـالتان

بين سلطان مالوه والأشرف قايتبـاي

للدكتور أحمد درّاج

تمهيــــد

هاتان الرسالتان ، هما من الرسائل العديدة التى توجد بالمخطوط رقم ٤٤٤٠ بالمكتبة الأهلية بباريس ، فهذا المخطوط يحتوى على مجموعتين : مجموعة من النماذج الأدبية من مقدمات الرسائل لكبار الكتاب مثل ابن نباته ، والصفدى ، وابن غانم ، وابن العطار ، وابن الأثير ، وابن عبد الظاهر ، وابن زيدون ، وابن مكانس وغيرهم . والثانيـــة مجموعة تزيد على المائة من الرســـائل السياسية المتبادلة بين سلاطين المماليك فى مصر وسلاطين وأمراء العالم الإسلامى فى المشرق والمغرب ، وكذلك عدد قليل من الرسائل والمراسيم المحلية . وكل هذه الرسائل كتبت فى القرن التاسع الهجرى أى الخامس عشر الميلادى .

ويبدو أن جامع هذه النماذج الأدبية والسياسية كان أحد كتّاب الدَّرْج أو كتاب الدَّسْت بديوان الإنشاء فى مصر المملوكية فى أواخر هذا القرن. ولم يكن هدفه إظهار القيمة السياسية لهذه الوثائق ذات الأهمية العظمى لتاريخ الدولة المملوكية ، بل مقارنة أسلوب كبار الكتاب السابق ذكرهم بأسلوب المعاصرين له ممن تولوا كتابة أمثال هذه الرسائل بديوان الإنشاء كخطوة لإصلاح صنعة الكتابة وقتذاك . إذ أن اختيار كتّاب السر ، ولا سيما فى عصر المماليك الشراكسة ، لم يكن يراعى فيه قدرتهم وشهرتهم الأدبية ، بقـــدر ما كانت تتحكم فيه ، غالباً ، الظروف الاجتماعية والمالية للمرشحين لهذه الوظيفة الكبرى التى لم تكن تُشغل إلا عن طريق السعى والبذل . ولذلك وصفت المراجع المعاصرة ، معظم هؤلاء الكتاب بالجهل . واقتصر دور هؤلاء الكتاب ، لا سيما فى كتابة مقدمات الرسائل ، على نقل النماذج التى دوّنها من قبل ،

شهاب الدين بن فضل الله العمرى كاتب ديوان الإنشاء فى عصر الناصر محمد . هذه النماذج التى عرفت باسم « المصطلح الشريف » والتى لم تصل إلينا بعد ، للأسف الشديد (١).

وهكذا ، فقد قدم لنا ، من حيث لا يشعر ، هذه الذخيرة من المكاتبات السياسية التى سيؤدى نشرها إلى تصحيح الكثير ، وزيادة الكثير أيضاً ، من معلوماتنا التاريخية ، ولا سيما فى ناحية العلاقات الخارجية بين السلطنة المملوكية والعالم الإسلامى فى ذلك القرن . ويكفى ، هنا ، للدلالة على مدى قيمتها أنها متبادلة مع سلاطين المغرب والأندلس ، واليمن ، والعثمانيين ، والتيموريين ، والمغول ، والهند ، وأمراء حصن كيفا ، والقرمانيين ، والذلغادريين ، وقرا يولك وأولاده ، وقرا يوسف وأولاده ، وأشراف مكة .

أما المكاتبات المحلية فمنها التهانى بالفتح ، وبحلول الركاب الشريف بالديار المصرية أو بالديار الشامية ، والمراسم السلطانية إلى أمراء الشام ، وخطابات السلاطين إلى أمهاتهم أو أولادهم ، وتلك الخاصة بإعلان البشرى السعيدة بمناسبة ولادة أبنائهم أو بتقديم التعازى بمناسبة وفاة البعض منهم .

وليس فى المخطوط أية إشارة إلى اسم جامعه أو ناسخه ، ولا توجد له أيضاً نسخة ثانية . والخط الذى كتب به نسخ واضح القراءة فى مجموعه مع إهمال للهمزات والنقط ، وعدد أوراقه ٢١٠ ورقة .

والرسالتان المنشورتان الآن ، هما نموذج للمنهج الذى أرجو أن أوفق فى اتباعه عند نشر هذا المخطوط : من تجميع للرسائل المتبادلة بين مصر وكل بلد من هذه البلاد الإسلامية مع التعليق عليها وشرح للحقائق التى تحتويها بقدر ما تسمح به المراجع التى فى متناول اليد (٢) .

---

(١) انظر : Wiet : *Les secrétaires de la Chancellerie "Kuttab-el-Sirr" en Egypte sous les Mamlouks circassiens*, Paris, 1923.

Darrag : *L'Egypte sous le règne de Barsbay*, thèse Inédite, Paris, 1955, Vol. I, pp. 188-202.

(٢) المخطوط يعد للنشر .

والرسالة الأولى صادرة عن المقام الجمالى محمود شاه صاحب « مندوا » أو « منادواه »[1] من الهند فى غرة رجب ٨٧١ هـ ، إلى الظاهر خشقدم الذى لم يقدر له أن يتسلمها ، وتسلمها من بعده الأشرف قايتباى[2] فى شهر ربيع الأول ٨٧٣ هـ .

أما العاهل الهندى . فهو كما جاء فى المراجع الهندية ، محمود شـــاه « الأول » خلجى الكبير (محرم ٨٤٠ هـ – ذو القعدة ٨٧٣ هـ) ، صاحب مملكة مالوه ، إحدى الممالك الإسلامية التى تفرعت عن مملكة دهلى بعد غزو تيمورلنك لها . ولقد أصبحت مدينة ماندو Māndū عاصمة لها عام ٨٠٨ هـ فى عهد سلفه السلطان ألب خان بن دلاور الملقب بهوشنغ شاه. وبلغت هذه المملكة فى عهد محمود شاه شأواً كبيراً من العظمة واتساع الرقعة على حساب الممالك الإسلامية الأخرى المجاورة لها ، مما يشهد بذلك « عمود النصر » الذى أقامه بقلعة ماندو . وعرف عنه ، أيضاً ، حبه وتشجيعه للعلماء والأدباء ، وحرصه على إشاعة العدل بين أفراد رعيته ، ولذلك يعتبر عهده من ألمع العهود التى عرفتها هذه المملكة [3] .

---

(١) انظر فيما بعد صدر الرسالة الأولى والثانية ، ورقة ١٨٠ ا ، ١٩١ ا .

(٢) توفى السلطان خشقدم فى شهر ربيع الأول ٨٧٢ هـ ، وخلفه لمدة قصيرة كلا من يلباى وتمربغا الى أن آلت السلطة الى قايتباى فى ٦ رجب من نفس العام . انظر فيما بعد . ما جاء فى رسالة قايتباى خاصاً باعتلائه عرش السلطنة .

(٣) تقع مملكة مالوه إلى الشرق من مملكة الكجرات وإلى الجنوب من مملكة دهلى . وقد تأسست على يد دلاور خان حسين غورى عام ٨٠٤ هـ واستولى عليها سلطان الكجرات بهادر خان عام ٩٣٧ هـ ، وكانت عاصمتها فى أول الأمر مدينة دهار ثم على التعاقب ماندو وشارى آباد . ولم يبق من مدينة ماندو حالياً إلا قلعتها التى حرصت مصلحة الآثار بالهند على العناية بها محافظة على ما بها من منشئات أثرية . (أنظر : زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ترجمة الدكتور زكى حسن والدكتور حسن محمود ، الجزء الثانى ، ص ٤٣١ ؛ والخريطة رقم ٥ الملحقة بآخر الكتاب – Encyclopédie de l'Islam., T. III, articles, "Malwa" et "Mandu"; *Cambridge History of India* Vol. III, pp. 352-361; Prasad; *History of Medieval India from 647 to the Mongol conquest*, trad. Française, Paris 1930, pp. 357-358; الدكتور أحمد الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، الجزء الأول ، ص ٢١٣–٢١٤ .

ويهمنا ، فى هذا الصدد ، أن نثبت ما جاء فى المراجع المصرية المعاصرة خاصاً بهذا السلطان وبمملكته . فهو، كما ترجم له السخاوى « محمود بن مغيث الخلجى » صاحب « مندوه » من الهند[1] . وهكذا ذكر اسمه مقروناً باسم العاصمة ، مشابهاً لما جاء فى صدر الوثيقتين ، مع تحريف بسيط فى كتابة اسمها . ويبدو أن « مَنَدْوه » هو الاسم الذى عرفت به مملكة مآلوَه فى مصر، فالخالدى يذكرها فى الترتيب الرابع عند كلامه عن الممالك الإسلامية الخمس بإقليم الهند وهى : دهلى ، وكنباية ، وبنكالا ، وهندوة . أما الخامسة فقد فاته ذكرها . وهى [ذات بساتين وأشجار ، ويشرب أهلها من ماء المطر، وصاحبها فى زماننا من أكابر ملوك الهند][2] . أما المقريزى فقد أغفلها ضمن كلامه على هذه الممالك وهى : دهلى ، وبنجالة ، وكلبرجه، وبزرات وكباية ، وما دونها كديوة ، ومهايم ، وتانة وغيرها[3] . وابن تغرى بردى لا يشير إليها أثناء عرضه للممالك الرئيسية فى حوادث ٨٦١ هـ ، والتى يعد منها ستاً وهى : دهلى ، وكنباية ، وبنكالا ، وكلبرجا ، وجانبور ، وبيجانكر . وملوكها جميعاً ، وهم أعيان ملوك الهند ، ولايتهم من الخلافة العباسية فى مصر . ويستطرد فيذكر [وأما غيرهم فكثير مثل كشمير ... و « ميدومة » صاحبها يسمى محموداً][4] . ويحتمل جداً ، أنه يقصد بهذه المملكة الأخيرة « مندوه » وأنه كتب اسمها محرفاً كما وصل إلى سمعه . ومما يدعم هذا الرأى ، الاختلاف الواضح فى الرسم الاملائى لأسماء بعض هذه الممالك كما ذكرها المؤرخون الثلاثة ، إذ أن كتاباتهم لم تقم على المشاهدة الفعلية وإنما كانوا يجمعون هذه الأخبار من أفواه التجار الهنود الذين يفدون إلى مصر أو إلى الحجاز ، أو من

(١) الضوء اللامع ، الجزء العاشر ، رقم ٥٩٠ ، ص ١٤٨-١٤٩ .

(٢) المقصد الرفيع ، مخطوط باريس رقم ٤٤٣٩ ، ورقة ٢٦٩ ب - ٢٧٠ ا . كتب الخالدى كتابه هذا الخاص بالنظم فى منتصف عهد السلطان برسباى تقريباً . أو على وجه التحقيق بعد سنة ١٤٣٢م (انظر : الدكتور زياده : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ، ص ٢٤-٢٥) .

(٣) السلوك ، مخطوط باريس رقم ١٧٢٧ ، ورقة ٣٨٥ ب - ٣٨٦ ا .

(٤) منتخبات من حوادث الدهور ، طبعة كاليفورنيا ، ص ٢٨٥-٢٨٨ .

أفواه التجار العرب الذين يترددون على ممالك الهند (١) . ومن هنا جاء النقل محرفاً ، وأطلقت أسماء بعض العواصم على أسماء الممالك، ولم تتفق هذه النصوص الثلاثة ، مع المراجع الهندية فى أسماء الممالك الإسلامية الست التى تفرعت عن مملكة دهلى فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى (٢) .

ورسالة محمود شاه هذه إلى السلطان خشقدم ليست أولى رسائله إلى سلاطين المماليك وإن كانت هى الوحيدة التى بأيدينا اليوم . فلقد سبق أن طلب من الخليفة العباسى القائم بمصر ، حسب العادة المتبعة من سلاطين المسلمين بالهند (٣) ، منحه تقليداً بالسلطنة لتثبيت أركان حكمه وصبغه بالصبغة الشرعية. لا سيما إذا عرفنا أن محمود شاه لم يرتق عرش مالوه عن طريق الوراثة ، بل غصباً وعن طريق الغدر بالسلطان الطفل مسعود خان الذى كان وزيراً له

(١) Otto Spies : *India in the 14th century*, p. 5

(٢) هذه الممالك الاسلامية هى : دهلى ، ومالوه ، والكجرات ، وجونبور ، وبنغالة ، وخاندش .
(Prasad; op. cit., chap. XIII, pp. 356-383

(٣) فيما يختص بعلاقة سلاطين الهند بالخلافة العباسية بمصر انظر :

— الدكتور سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ٩٧–١٠٠ ، ١٤١–١٤٢ ؛
Prasad : op. cit., pp. 279-280, 327-328; Alexandre Dow: *The history of Hindostan*, London, 1770, vol. I, pp. 310-311.

(عن محمد بن تغلق وفيروز شاه)

— صبح الأعشى ، الجزء العاشر ، ص ١٢٩–١٣٤ .
(تفويض الخليفة المستعين بالله الى مظفر شاه سلطان دهلى فى شوال ٨١٣ هـ) .

Darrag : op. cit., pp. 340-344.

(عن مبارك شاه سلطان دهلى ، وجلال الدين أبو المظفر سلطان بنغالة ، وأحمد شاه سلطان كلبرجه)

— زبدة كشف الممالك ، ص ٨٩ .
(لم يذكر صراحة اسم صاحب الهند الذى طلب التفويض فى عهده . ويلاحظ أن المؤلف كتب كتابه فى عهد السلطان جقمق)

— منتخبات من حوادث الدهور ، ص ٢٨٥–٢٨٨ .
(عند كلامه على حوادث ٨٦١ هـ ، أشار الى أن ملوك الممالك الاسلامية بالهند ، ولايتهم جميعاً من الخلافة العباسية بمصر) .

بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، ج ٢ ، ص ١٣١ .
(عن غياث الدين سلطان دهلى) .

ووصياً عليه (١) . ولم يذكر مؤرخوه ، صراحة ، اسم الخليفة ولا السنة التى طلب فيها هذا التقليد ، إنما أردفوا هذا بأن شهرة محمود الخلجى بالبلاط المملوكى دفعت السلطان أبا سعيد (أبو سعيد جقمق ٨٤١ هـ – ٨٥٧ هـ) إلى أن يوجه إليه سفارة تعبر عن تقديره له والإشارة بعظمته (٢) . ومما لا شك فيه أن هذه السفارة كانت رداً على سفارة محمود الخلجى التى جاءت إلى القاهرة تسعى فى الحصول على تفويض بالسلطنة . ويحتمل أن يكون هذا التفويض هو الذى أشار إليه خليل بن شاهين والذى منحه الخليفة وقتذاك لصاحب الهند (٣) .

ولننتقل إلى بحث الحقائق التاريخية التى احتوتها رسالته . فان محمود شاه قد أرسل رسلا إلى مكة ، تمكنوا من شراء دارين بها ، هما دار أم هانىء ودار الملاعبة ، ثم هدما وبنى مكانهما منشئات وأبنية تحمل اسمه . فأما دار الملاعبة فقد استولى عليها جانى بك نائب جدة قسراً وهدمها وبناها من جديد . ثم يعرض لظلم جانى بك ولموضوع جباية العشر بجدة . وترددت رسله إلى مكة مرة ثانية ، فى طريقها إلى مصر حاملة الهدايا إلى السلطان والخليفة وشريف مكة ، والصدقات إلى الأئمة والقضاة والسادة بالحرمين الشريفين ، إلا أنهم أهينوا ولم يتمكنوا من توزيع هذه الأموال حسبما رسم بذلك سيدهم ، وكان على رأس القائمين بذلك قاضى مكة برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة ، ونائب آخر لجدة يدعى الشيخ على . هذه المعاملة السيئة لرسله ، وما ترامى إلى سمعه من أن السلطان خشقدم أحيط علماً بما حدث لهم ، دفعته بأن يبعث إليه بشكواه هذه على يد رسولين متخفين لضمان سلامة وصولهما .

---

(١) Encyclopédie de l'Islam, T. III, article "Malwa".

لم يذكر زامباور (معجم الأنساب ، ج ٢ ، ص ٤٣١) اسم هذا السلطان ، بل ذكر فقط أباه محمد الأول غزنى خان الذى دس له السم خليفته محمود شاه .

(٢) *Cambridge History of India*, vol. III, pp. 360-361; Prasad; op. cit. pp. 357-358.

– عاصر السلطان جقمق كلا من الخليفة المستكفى بالله سليمان والقائم بأمر الله حمزه .

(٣) زبدة كشف الممالك ، ص ٨٩ .

فما مدى تطابق هذه الحقائق بما جاء فى المراجع المصرية والمكية خاصاً بها ؟ انها لم تفصح عن شيء عندما أنبأت بوصول قاصد ملك الهند إلى القاهرة فى ربيع الأول ٨٧٣ هـ (وهو الشهر الذى وردت فيه رسالة محمود شاه) وتشرفه بمقابلة قايتباى بخانقاه سرياقوس (١) . وترجمة حياة محمود شاه تفيد بأنه أنشأ مدرسة بمكة عند باب أم هانيء (تعرف بدارها) وقرر فى مشيخة التدريس والحديث بها إمام الحنفية الشمس البخارى (٢) ، ولكنها أغفلت ذكر دار الملاعبة . ربما لأنه تعذر إعادتها إلى محمود شاه نظراً لهدمها وبنائها من جديد على يد جانى بك (٣) ، وربما لأن الدارين متجاورتان ، إذ أن باب أم هانيء الذى تنسب إليه احداهما ، يعرف أيضاً بباب الملاعبة لأنه بحذاء دار تنسب للقواد الملاعبة (٤) . غير أن من ترجم لجانى بك أشار إلى أنه بنى بظاهر مكة البستان والسبيل بطريق منى ، قريباً من العُسيلات وأوقف عليه مسقَّفات بمكة (٥) ، ويجوز أن تكون هذه المسقفات هى التى بناها مكان دار الملاعبة .

هذا هو كل ما أمكننا الوصول إليه ، ولم يتبق لنا سوى إلقاء الضوء على الشخصيات التى جاء ذكرها فى هذه الرسالة ، وعن طريق دراستها نستطيع أن نحدد زمن وقوع هذه الحوادث على وجه التقريب .

---

(١) منتخبات من حوادث الدهور ، ج ٣ ، ص ٦٨٠ ؛ أنباء الهصر فى أنباء العصر ، مخطوط بدار الكتب ، التيمورية ٢٢٨٥ تاريخ ، ورقة ٨ ؛ بدائع الزهور ، طبعة استانبول ، ج ٣ ، ص ١٩-٢٠ .

(٢) الضوء اللامع ، ج ١٠ ، رقم ٥٩٠ ، ص ١٤٨-١٤٩ .

(٣) انظر فيما بعد رسالة قايتباى . ورقة ١٩٣ ا .

(٤) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف فى فضل مكة ، ص ٢١٨-٢١٩ ؛ قطب الدين النهروالى : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، طبعة ليبزج سنة ١٨٥٧ ، ص ١٠٧ ؛ ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ، ٢٣٢ ؛ محمد لبيب البتنونى : الرحلة الحجازية ، ص ٩٧ (أم هانيء بنت أبى طالب ، وزوجة هبيره بن عمرو المخزومى. أدخل دارها فى أسفل المسجد الحرام قرب الركن اليمانى عندما زار الخليفة المهدى المسجد زيارته الثانية ، وعرف الباب الذى فتح هناك ، مكان الدار ، بباب أم هانيء . وهذا الباب هو أحد الأبواب السبعة الموجودة فى الجانب الجنوبى من المسجد الحرام) .

(٥) قطب الدين : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ ؛ الضوء اللامع ، ج ٣ ، رقم ٢٣٥ ، ص ٥٧-٥٩ ، والعسيلات هى أبيار فى علو مكة (أنظر قطب الدين ، ص ٣٣٨) .

فسيف الدين جانى بك بن عبد الله الظاهرى هو الوحيد من بين أقرانه الذين تسموا بهذا الاسم ، الذى عرف بنائب جدة (١) . تولى نيابة جدة عام ٨٤٦ هـ أو ٨٤٩ هـ (٢) على قول آخر. وظل يباشر مهام هذه الوظيفة حتى وفاته عام ٨٦٧ هـ . وبالرغم من ارتقائه سلم الوظائف المملوكية حتى وصل إلى أعلاها ، وتولى وظيفة الاستادارية الكبرى ، والدوادارية الكبرى ، وأصبح حسب لغة العصر ، عظيم الدولة ومدبر المملكة وصاحب الحل والعقد بها ، فإنه لم يتخل عن هذه الوظيفة وإنما تخلف عنها اضطراراً فى بضع سنوات . ويمكن الجزم بأنه واصل الذهاب إلى جدة ، فترة وصول المراكب الهندية ، دون انقطاع ابتداء من ٨٥٩ هـ حتى ٨٦٧ هـ ، مع إقامته بمكة عام ٨٦٣ هـ بعد انقضاء الموسم التجارى بجدة ليتسنى له تأدية فريضة الحج ثم زيارة قبر الرسول بالمدينة (٣) . وكان نفوذه بالحجاز يزداد اضطراداً بازدياد نفوذه بمصر ، فغدا حاكم الحجاز الفعلى . وليس أدل على ذلك مما ذكره أبو المحاسن فى ترجمة حياته ، إذ قال: [... ثم سافر إلى بندر جدة وهو أمير مائة مقدم ألف فى سنة خمس وستين ، وقد صار هو المتصرف فى البلاد الحجازية بتمامها وكمالها وإليه أمرها فى الولاية والعزل من صاحب مكة إلى من دونه . على أنه كان له على هذا الأمر ستون ، وقد كاتبه أكابر ملوك الهند وغيرها من أيام الظاهر جقمق إلى يومنا هذا بعدة مكاتبات وقفت أنا على بعضها قديماً ما بين نظم ونثر (٤)] . بل ان النقش التذكارى الذى لا يزال موجوداً على جامعه بالقاهرة أبلغ من هذا النص للدلالة على عظم نفوذه بالحجاز ، إذ نجد اللقب

---

(١) قارن ; Manhal Sâfi, éd. Wiet, No. 818, Nos. 806-817, 819, 820.

(٢) النجوم الزاهرة ، طبعة كاليفورنيا ، ج ٧ ، ص ١٤٣ .

(٣) انظر : على التوالى ، منتخبات من حوادث الدهور ، ص ٢٢٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٣٠٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٤٣ ، ٣٩٧-٣٩٨ ، ٤١١ ، ٤٣٣ ، ٤٤١ .

(٤) النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٧٧٥-٧٨١ ؛ منتخبات من حوادث الدهور ، ص ٥٦٦-٥٦٩ ؛ الضوء اللامع ، ج ٣ ، رقم ٢٣٥ ، ص ٥٧-٥٩ (يتفق السخاوى مع أبى المحاسن فيما يختص بنفوذ جانى بك) .

« نائب السلطنة الشريفة بالأقطار الحجازية » هو أبرز ألقابه [1] . والأمثلة كثيرة تؤيد هذه الحقائق [2] .

إلا أن مؤرخا سيرته اختلفا فى الحكم عليه أثناء نيابته لجدة فأبو المحاسن يبالغ فى إسداء المديح إليه . فيقول : (... فقد باشر البندر المذكور بمعرفة وحذق مع المهابة وموفور الحرمة ونفوذ الكلمة ، ونهض بما لم ينهض به غيره ممن تقدم به – وأنا أقول – ولاممن تأخر عنه إلى يوم القيامة [3]) . وفى إعجاب ظاهر ، يذكر فى موضع آخر ، أنه حصل من بندر جدة للسلطان سنة ٨٦٤ هـ على ٧٤٠٠ تكرة فلفل ، وهذا شيء لم يقع لأحد قبله ولا بعده [4] . أما السخاوى فعلى النقيض منه ، ويجمل رأيه فيه . فى هذه الجملة القصيرة البليغة (انه نهض – فى النيابة بجدة – بخبرته فى الظلم لما لم يصل إليه من قبله... ومحاسنه كثيرة وضدها أكثر وأفحش ... [5]) . ويسوق على سبيل المثال ما حدث سنة ٨٥١ هـ لجماعة من التجار تخلفوا عن النزول إلى جدة والتجأوا إلى المسجد الحرام يشكون أمرهم إلى القضاة والأئمة . بل ذهب بهم الأمر إلى أن رفعوا المصاحف على رؤوسهم وطافوا بالكعبة أسبوعاً ، وعندما انعقد المجلس بالمسجد لسماع شكواهم قالوا للقضاة إن حال الأمير وفعله بجدة لا يخفى عنكم وقد ظلمنا وأخذ جانباً عظيما من أموالنا وتركنا البيع والشراء والنزول إلى جدة لذلك . وبالرغم من ذلك فقد انتهى أمرهم بالقبض عليهم وإرسالهم مكبلين بالحديد إلى جانى بك بجدة ، إذ أن أمير مكة ومعظم المجتمعين لم يجرؤا

(١) C.I.A., Egypte, I, Nos. 283-285, pp. 411-421.

(٢) فى سنة ٨٥٩ هـ تولى الشريف محمد بن بركات إمرة مكة عوضا عن أبيه بفضل نفوذ جانى بك (انظر : ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٣٢١ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، ج ٢ ، ص ٥٣ ؛ عبد القادر الأنصارى : درر الفرائد المنظمة ، مخطوط بدار الكتب ، ورقة ٣٠٩ ، ٣١٠) . وعندما سرقت سنة ٨٦١ هـ القناديل الذهب المعلقة على القبر الشريف بالمقصورة الشريفة ، سارعت السلطات بالمدينة بإبلاغ الأمر إلى جانى بك بجدة (انظر : منتخبات من حوادث الدهور ، ص ٢٩٧–٢٩٨) .

(٣) النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٣ .

(٤) منتخبات من حوادث الدهور ، ص ٣٢٧ .

(٥) الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

على معارضته ، ومن تجرأ على ذلك كان جزاؤه العزل (١) . وفى عام ٨٥٣ هـ ، بادر السلطان بالترسيم عليه عقب عودته من جدة حتى التزم بأن يحمل له ما يزيد على ثلاثين ألف دينار — ويعقب المؤرخ فى حدة وعنف — أنها لا من كده ولا من كد أمه (٢) ؟

وسجلت رسالة محمود شاه مر الشكوى من سوء معاملة الحجاج والقاصدين والتجار الوافدين إلى مكة وجدة ، وأن جانى بك قد [أزاد ظلماً على الظلم الفاحش فى أخذ العشر ... وأن المباشرين بجدة يأخذون فوق العشر ، حتى أخذوا النصف وما فوقه وما دونه] . ثم يقرن ذلك بتقرير القاعدة الشرعية فى موضوع جباية العشر (٣) التى يحرص هو على تطبيقها فى بلاده . ولا ينكر قايتباى فى جوابه جباية العشر بجدة صنفاً لا مالا حسبما أفتى به العلماء أيام الأشرف برسباى ، ولكنه يعترف بما يقع فى جدة من الظلم ولذلك فقد سارع ، بمجرد اعتلائه عرش السلطنة بأن أصدر مراسيمه الشريفة بإبطال ما كان يتضرر منه التجار وأمر بتسجيلها على رخامة بباب الفرضة . وفضلا عن ذلك فانه رسم بفصل من كان بها من المباشرين وعين بدلا منهم من يثق فى عدالتهم وأمانتهم (٤) .

وقايتباى صادق فيما قال . ففى أوائل سلطنته أرسل إلى مكة مراسيم تتضمن الأمر بإبطال جميع المكوس والمظالم وأن ينقش ذلك على أحد أساطين الحرم الشريف بالقرب من باب السلام (٥) . وفى شعبان ٨٧٢ هـ قرر فى نيابة جدة أبا الفتح المنوفى ، أحد أخصائه بل موقعه (٦) .

---

(١) التبر المسبوك ، ص ١٧٥ ، ١٨٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(٣) القاعدة الشرعية هى أن يجبى من المسلمين ربع العشر (أى مقدار الزكاة) ولا يجبى منهم إلا مرة واحدة فى العام ، وان يؤخذ من أهل الذمة نصف العشر (انظر :

Encyclopédie de l'Islam, T. III, article, "Zaka".

(٤) انظر فيما بعد ، الرسالة الأولى ورقة ١٨٢ ب ، والرسالة الثانية ورقة ١٩٢ ا ، ب ، ١٩٤ ا .

(٥) قطب الدين النهروالى : الإعلام ، ص ٢٢٣ ؛

De Gaury : *Rulers of Mecca*, P. 109

— يقوم الآن الأستاذ جاستون فيت بنشر نقوش مكة ، ونرجو أن يكون من بينها هذا النقش ، وكذلك النقش الآخر الذى أشارت اليه رسالة قايتباى بباب الفرضة بجدة .

(٦) بدائع الزهور ، طبعة استانبول ، ج ٣ ، ص ٨-٩ ؛

C.I.A., Egypte, I, p. 423, No. 1.

ولم يكن احتجاج محمود شاه على جباية العشر بجدة هو الأول من نوعه ، فقد سبقه إلى ذلك سلطان التيموريين ، شاه رخ ، عندما ساءت العلاقات بينه وبين السلطان برسباى بعد أن رفض تحقيق نذرله كان قد نذره بتعليق كسوة للكعبة . واعتبرت السلطنة المملوكية ، أن تعليق كسوة الكعبة شعار من شعائر السيادة المصرية على المدينتين المقدستين ، ان لم يكن أهمها . وهاجم أيضاً ، العاهل التيمورى ، قضاة مصر وفقهائها ووصفهم بأنهم « مطايا السلطان » . وتوترت العلاقات بين الدولتين حتى أوشك القتال أن ينشب بينهما لولا ظروف سياسية حالت دون ذلك (١) . ومن قبل كانت جباية العشر بموانىء السلطنة المملوكية عامة سبباً لاحتجاج السلطان العثمانى بايزيد الأول لدى السلطان برقوق (٢) . وأيضاً ، عرّضت المراجع المملوكية بما يجبى فى مصر من مكوس ، عندما ذكرت ترجمة حياة سلطان المغرب ، أبى فارس الحفصى ، وأزجت له الثناء لأنه لا يجبى من المسلمين فى بلاده سوى الزكاة (٣) .

أما فيما يختص بتقرير جباية العشر بجدة ، فى عهد السلطان برسباى ، فلم تذكر المصادر المعاصرة شيئاً عن هذه الفتوى التى أشارت إليها رسالة قايتباى . وكل ما نعرفه ، بناء على دراستنا لعصر برسباى ، أنه أمر بجباية العشر مالا ابتداء من سنة ٨٢٨ هـ ثم صنفاً ابتداء من سنة ٨٣٢ هـ فضلا عن مزاولته المتجر عندما بدأ تنفيذ سياسته الاحتكارية للتجارة بين الشرق والغرب (٤) وربما لم يلجأ برسباى إلى استصدار مثل هذه الفتوى لأنه لم يوفق عام ٨٢٧ هـ فى الحصول على موافقة القضاة والفقهاء بجباية الزكاة من التجار المحايين . وكان موقف ابن حجر ، ولم يكن إذ ذاك قاضى قضاة الشافعية ، سبباً فى تذكيره بأن التجار يؤدون إلى السلطنة من المكوس أضعاف مقدار الزكاة ، وفضلا عن ذلك ، فهم مأمونون على ما تحت أيديهم من الزكاة (٥) .

---

(١) Darrag: op. cit., vol. I, pp. 322-323; vol. II, pp. 613-614.

(٢) إنباء الغمر ، مخطوط باريس رقم ١٦٠١ ، ورقة ١٩١ أ ؛ الضوء اللامع ، ج ١١ ، رقم ٤٨٦

(٣) صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٣٣ ؛ إنباء الغمر ، مخطوط باريس ، رقم ١٦٠٢ ، ورقة ١٩٩ ب ؛ شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٢٢٢ .

(٤) انظر Darrag : op. cit., vol. I, pp. 348-374.

(٥) إنباء الغمر ، مخطوط باريس ، رقم ١٦٠٢ ، ورقة ١٣٦ ب .

والفتوى التى نعرفها هى تلك التى استصدرها السلطان جقمق فى ذى القعدة ٨٤٣ هـ (١) محاولة منه تبرير جباية العشر بجدة أمام شاه رخ بعد أن تحسنت العلاقات بين الدولتين (٢) وهى لا تعدو أن تكون تأكيداً لما حادث منذ عهد برسباى .

هذه الفتوى ، على أى سند شرعى تستند ؟ انها تستند على حكم العادة التى اكتسبت قوة الشرع بمرور الزمن حسبما قال به بعض شراح المذاهب . فقبل أن تصبح جدة الميناء الرئيسى لتجارة البحر الأحمر سنة ٨٢٧ هـ . كان العشر يجبى بها عندما كانت تخضع لسلطة شريف مكة ، وكان يجبى فى الموانىء المصرية مثل القصير وعيذاب وطور ، وكذلك فى عدن ، وفى هرمز التى كانت تخضع وقتذاك لنفوذ التيموريين (٣) .

وعلى بن رمضان هو الشخصية الثانية التى أشارت إليها رسالة محمود شاه مقرونة بنيابة جدة وباستغلال نفوذه فى اغتصاب مبلغ من الأموال المرسلة للخليفة وللسلطان (٤) . وهو ، كما جاء فى النقش التذكارى الموجود على مسجده بحارة برجوان « القاضى النورى بن المرحوم الزينى رمضان الناظر ببندر جدة المعمورة » (٥) وقد خدم الشيخ على صيرفيا للأمير جانى بك عندما عين نائباً لجدة سنة ٨٤٩ هـ ، وظل يرافقه حتى وفاته سنة ٨٦٧ هـ . وبعد ذلك استقل بنيابة جدة فى رجب ٨٦٩ هـ وظل بها حتى وفاته فى ٢٧ جمادى الأول ٨٧١ هـ (٦) . وبالرغم من أن أبا المحاسن يكيل المديح لجانى بك فانه يكيل

---

(١) السلوك ، مخطوط باريس ، رقم ١٧٢٨ ، ورقة ٤٣٨ ا ؛ إنباء الغمر ، مخطوط باريس ، رقم ١٦٠٢ ، ورقة ١٩٩ ب ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١١٠ ؛ درر الفرائد المنظمة ، مخطوط دار الكتب ، ورقة ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٢) تعددت المراسلات والسفارات بين شاه رخ وجقمق ابتداء من جمادى الأول ٨٤٣ هـ ، حتى سمح له جقمق عام ٨٤٨ هـ بتعليق كسوة داخلية للكعبة . وظلت الكسوة معلقة طوال بقية حياة شاه رخ ، وبعد وفاته أمر جقمق بنزعها عام ٨٥٦ هـ .

انظر : Darrag : op. cit. vol. II, p. 621 et notes

(٣) انظر : Darrag : op. cit., vol. I, p. 322 et No. 1, vol. II, p. 596.

(٤) انظر فيما بعد ، الرسالة الأولى ، ورقة ١٨٣ ب .

(٥) C.I.A., Egypte, I, No. 286, pp. 422-423.

(٦) منتخبات من حوادث الدهور ، ص ٤٩٥ .

السخط على مخدومه ولا سيما بعد انفراده بالنيابة ، إذ قال [... فعند ذلك بسط يده فى المظالم فما عفَّ ولا كفَّ وظلم وعسف وانتشر ظلمه على الأقطار الحجازية بل الممالك اليمنية والهندية والسندية وقاسى أهل الحجاز والتجار منه شدائد وأهوالا ، وأثرى من هذا المال الخبيث جهة المكس والمظالم وجمع من الأموال ما لم يجمعه غيره واقتنى الجوارى والعبيد ... (1)] . ويتفق السخاوى معه فى هذا الرأى ، بل يكاد يكرر تقريباً نفس العبارات السابقة (2).

ووردت الشكوى أيضاً من قاضى مكة برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة . ولكنه فى رسالة قايتباى محل ثنائه ومدحه (3) ، وهو أمر أجمع عليه كل من أرخ لسيرته . وقد تولى قضاء مكة فى شهر رجب ٨٦٢ هـ إلى أن عزل عنه بأمر قايتباى سنة ٨٧٥ هـ ، ثم تقررت عودته فى أوائل صفر ٨٧٨ هـ وقدر له التمتع بهذه الولاية حتى وفاته سنة ٨٩١ هـ (4) .

من هذا العرض لهذه الشخصيات الثلاث التى جاء ذكرها فى الرسالتين ، يمكننا أن نحدد الوقت الذى حدثت فيه الحوادث موضوع الشكوى ، أملا فى أن يوضح الباحثون لهذه الفترة من التاريخ المصرى ، الحقيقة كاملة يوماً ما .

فجانى بك باشر نيابة جدة من غير انقطاع ابتداء من سنة ٨٥٩ هـ حتى سنة ٨٦٧ هـ (سنة وفاته) .

وبرهان الدين ابراهيم بن ظهيرة تولى قضاء مكة ابتداء من سنة ٨٦٢ هـ.

وعلى بن رمضان تولى نيابة جدة منفرداً من سنة ٨٦٩ هـ حتى ٨٧١ هـ .

إذاً ، يمكننا أن نقرر أن رسل محمود شاه الذين قاموا بشراء الدارين ، جاءوا إلى مكة فى الفترة ما بين سنة ٨٦٢ هـ و ٨٦٧ هـ ، ورسله الذين جاءوا

(1) منتخبات من حوادث الدهور ، ص ٥٣٤-٥٣٦ .

(2) الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(3) أنظر فيما بعد الرسالة الأولى ، ورقة ١٨١ ب ، والرسالة الثانية ، ورقة ١٩٣ ب .

(4) منتخبات من حوادث الدهور ، ص ٣١٦ ؛ بدائع الزهور ، طبعة استانبول ، ج ٣ ، ص ٥٩ ، ٢٢٩-٢٣٠ ؛ الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ١٠٣-١٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ؛ الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٨٨-٩٩ ؛ شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٣٥٠ .

محملين بالهدايا وبالصدقات ، ومكلفين بالشكوى مما حدث من استيلاء جانى بك على دار الملاعبة فى الفترة ما بين سنة ٨٦٩ هـ و ٨٧١ هـ .

ليس ثمت شك فى أهمية نشر هاتين الوثيقتين بالنسبة لتاريخ العلاقات المصرية – الهندية فى العصور الوسطى ، لا سيما إذا ما عرفنا أنه لم ينشر من قبل سوى وثيقة واحدة هى عهد تفويض بالسلطنة من الخليفة المستعين بالله إلى مظفر شاه سلطان مملكة دهلى فى شهر شوال ٨١٣ هـ (١) . أما ما حوتهما من حقائق ، فهى كما أشرت سابقاً ، جديدة علينا تماماً وتضيف فصلا هاماً إلى ما كتبه المستشرق الفرنسى كاترمير Quatremère منذ قرن ونصف تقريباً . وهذا لا يعدو أن يكون مقتطفات مترجمة إلى الفرنسية كما ورد فى النسخة الخطية للسلوك الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس عن العلاقات بين سلاطين المماليك وسلاطين الهند حتى وفاة المقريزى (٢) ، ومع ذلك فهو جهد يذكر بالشكر والثناء والعرفان بالفضل ، إلا أنه يدعونا إلى إعادة الفكر فى ضرورة كتابة تاريخ هذه العلاقات وإكمالها حتى سقوط الدولة المملوكية على ضوء ما ذكرته جميع المراجع المعاصرة

والله ولى التوفيق .

(١) صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ١٢٩–١٣٤ .

(٢) Quatremère : *Mémoires géographiques et historiques sur l'Egypte et sur quelques contrées voisines*, Paris, 1811, Vol. II, pp. 284-295.

١ — رسالة السلطان محمود شاه الخلجى إلى السلطان خشقدم

(١٨٠ ا — ١٨٤ ب)

وفى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وثمان مائة

ورد من المقام الجمالى محمود شاه صاحب مندوا (١) من الهند كتاب على الأبواب الشريفة على يد قاصده .

أوله : هو الغنى . إلى المجلس السامى ، والمنهل النامى السلطانى ، العادل المبارك ، المجاهدى الأوحدى المؤيدى الأكملى الملكى الظاهرى ، عز الإسلام والمسلمين ، ناصر أحكام الشرع المبين ، قسيم أمير المؤمنين ، أعز الله تعالى به الدين ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ، ناصر أحكام الشرع فنصرته ، نصره الله على الأعداء والحاسدين .

أما بعد حمد الله الذى له الملك والملكوت ، فيفيض على من يشاء من مواهب العزة والجبروت ، ليقوم بأمره حيث أقامه ، ويروم من فضله مرامه ، فله الفضل على تفضيل العباد وتأليف أرواحهم فى النشأة الأولى لامتداد الوداد ، فلولا تعارف الأرواح قبل الأشباح لما ترنم على فنن المحبة بلابل الاصباح . وكما أن عُرْف المحبة النسبية ينزع إلى المحبة الجنسية ، كذلك الأخوّة الحسبية تميل إلى إظهار المحبة الأزلية ، فلظهور هذه المحبة آثار ولخصوصها أنوار ، منها ما يقع فى التسامع من الأخلاق الحميدة والشيم المرضية المجيدة ، كما ترادفت الأخبار وتشنفت المسامع بمحاسن آثار المجلس السامى أعز (١٨٠ ب) الله تعالى أنصاره . وقد جبلنا الله تعالى على حب من يكون على الرشاد والسداد خصوصاً من ألقى إليه أزمّة العباد . فحيث تحققناه من المجلس السامى تحركه المعرفة الأولية فى النشأة الجنودية لإظهار الألفة الأزلية فى العوالم الشهودية ،

(١) انظر قبل ، تحقيق اسم هذه المدينة .

خصوصاً حيث بلغنا أن المجلس السامى الملكى الظاهرى قد قام لله مقام العصبية لما بلغت مسامعه الشريفة ما جرى على الذين أرسلناهم إلى حرم الله الشريف بالصدقات وإلى الأبواب السلطانية بالتحف والهدايا . فأرسل المجلس العالى مراسيمه الشريفة وعنّف ولام من ارتكب تلك الآثام ، فحق علينا أن نُنهى الأحـــوال ونبث ما لاقوا منهم فى البـــكور والآصـــال لنحيط العـــلوم الشريفة بذلك .

فأوله : إنا لما منّ الله علينا بالنعم العميمة والمواهب الجسيمة من فواضل فضله ، وأقامنا فى الخليقة لإقامة عدله ، فقمنا بحمد الله تعالى وتوفيقه ونصره وتأييده ، بإفاضة الخيرات وإيصال المبرّات للوافدين والقاصدين ، خصوصاً من ورد علينا من الحجاج والزوار ، ووفد إلينا من المجاورين الأخيار. فأردنا أن تدوم هذه الفضيلة ، وتصل إليهم كل سنة نعمه الجزيلة ، استغناماً لما ورد فى صحيح الأخبار عن سيد الأبرار والأخيار صلى الله عليه وسلم ، (إن صدقة الدرهم بمكة المشرفة خير من مائة ألف درهم فى غيرها) . فعزمنا (١٨١ ا) على بنيان أبنية بالحرمين الشريفين . توقف (١) عليها الأملاك وقفاً أبدياً [و] تجرى الصدقات عليهم ماكرّ الجديدان . فأرسلنا أولا خاصاً من خواصنا ، العتيق ويسمى ملك سنبل السلطانى ، فوقف لشراء دارين بمكة المشرفة ، أحدهما منسوب ببيت أم هانىء والأخرى بدار الملاعبة ، فاشتراهما بالبيع الصحيح الشرعى وكالة عنا . وكتب بذلك سجلات فى الصكوك من القضاة الأربعة بمشهد الأئمة الحرمية (٢) وعلم عليها شريف مكة وسائر أركان دولته .

وأمر شراء الدارين بمكة المشرفة قد اشتهر فى الآفاق ، بحيث يستغنى بتلك الشهرة عن السجلات والأوراق . فبعد تملكه لتلك الدور [و] تعمير بعضها وإسكان الفقراء فيها ، توجه إلى أبوابنا الشريفة وأنهى إلينا الحال لنرسل (٣) لتعميرها بالرجال والأموال ، إذ تسلط عليها ظالم كان بمكة ، حاكماً بجدة ،

(١) فى الأصل : تقف .

(٢) المقصود أئمة الحرم الشريف .

(٣) فى الأصل : ونرسل .

يسمى جانى بك (١) ، فأخرج الفقراء منها واستولى على دار الملاعبة وأخذها قهراً وهدمها وبناها ما يشتهى . ولم يمنعه أحد من المسلمين ، بل أعانه طائفة على ذلك ، أوقعوه ووقعوا فى المهالك ،أعاذنا الله وإياكم من شرور العَمَلَة وتولية الفجرة الظَّلَمة . فقصدنا إخبار المجلس السامى السلطانى بما قد جرى من العدوان فى خير البلدان . فجهزنا لذلك وجوهاً من أعيان بلدتنا ، رجلا من أهل العلم والفضل يسمى الشيخ محمد ، مفتى الديوان ، (١٨١ ب) وآخر من نسل الأولياء يسمى الشيخ سراج الدين ، ومعين ديوان الوزارة والملك برهان الدين ، وأرسلنا صحبتهم ما يوازى خمسين ألف أشرفى (٢) فى هدايا وتحف إلى أمير المؤمنين (٣) وإلى الحضرة السلطانية وإلى شريف مكة (٤) ، وصدقات للأئمة القضاة والشادّة بالحرمين الشريفين . ولما كانت الأحوال كثرت عن أن يسعها مركب واحد [فقد] اتخذوا مراكب ثلاثة فخالفت بهم الرياح ولم يصلوا مجتمعين . فلما اجتمعوا بحرم الله وعونه (كذا) استولى عليهم شادّة الحرم الشريف وقضاتها ونقيبهم الأظلم القاضى الشافعى المسمى ابراهيم (٥) ، آزر الخصال ونمرود الفعال فأخذوهم أخذ اللصوص ، فى السلاسل والأغلال مقيدين ، وضربوهم الضرب الفاحش ، حتى بقيت آثاره بحيث شاهدناها فى أجسادهم ، وأخذوا منهم فوق ما عيّنّاه لكل واحد . فهذا ما جرى فى حرم الله تعالى ،أيام دولة الملك العادل ، والله تعالى يقول (ومن دخله كان آمناً)(٦)،فهذا تبديل الأمنية فيها بالتخويف لما يأملون ، أو هل

---

(١) سيف الدين جانى بك بن عبد الله الظاهرى (انظر المقدمة) .

(٢) دينار أمر بضربه الأشرف برسباى فى شهر صفر ٨٢٩ هـ ، وكان من نقاء الضرب وكثرة العدد أن سيطر على الأسواق المالية فى مصر ، وبلاد الحجاز ، واليمن ، والهند حتى سقوط الدولة المملوكية (انظر : Darrag : op. cit., I, pp. 151-154)

(٣) انظر فيما بعد .

(٤) هو الشريف محمد بن بركات ، تولى إمرة مكة بعد وفاة والده سنة ٨٥٩ هـ ، وظل بها حتى وفاته فى ٩٠٣ هـ (ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٣٢١-٣٢٢ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، ج ٢ ، ص ٥٣) .

(٥) قاضى قضاة الشافعية بمكة ، برهان الدين ابراهيم بن ظهيره (انظر قبل) .

(٦) سورة آل عمران الآية ، ٩٧ .

يتركون فيما يفعلون ولا يسألون عما يرتكبون ، أعاذنا الله وإياكم من سوء أفعالهم ، ونفعنا وإياكم بصالح أعمالهم .

ولم تنحصر مقاصدنا فى إنهاء هذه الأحوال ، بل فيما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ، (لا يؤمن أحدكم حتى يحب (١٨٢ ا) لأخيه ما يحب لنفسه) . ولقد سمعنا ما يجرى من الظلم فى مكة المشرفة . وفى جدة المباركة ، على الحجاج والقاصدين والتجار الوافدين ما يجوز أحد بجريانه فى دار الحرب فكيف بدار الأمن . وقد تحققنا أنه [لو] بلغت المسامع الشريفة ، نصرها الله وأسمعها البشائر ، لأمر بدفعها وزجر مرتكبيها . لكن هذا دأب مباشرى السوء والعملة الفجرة ، يأكلون الرشوة ويرضون لمواليهم الشائعة الرديئة . فانه لا يقول أحد وقعت تلك المظالم فى أيام مباشرة فلان وفلان ، لكنهم ينسبون الظلم إلى الوالى والسلطان .

فحيث تحققنا ما تسامعنا من التجار فيما يقع على الناس بجدة المباركة ، وجرّبنا ذلك فى رسلنا المرسلين إلى الأبواب الشريفة بأن الظلمة لا يلاحظوا من صحبه التحف والهدايا ، فكيف من لا يستطيع الوقوف على الأبواب الشريفة ؟ فتحققنا أن المسامع الشريفة خلت عن بلوغ تلك الأحوال ، فما سكنت عروق المحبة عن استماع نسبة الظلم إلى الحضرة الأخوية ، وأوجب علينا الإيمان بنكرَة ما نكرَه لنفوسنا فأنهيناه إلى المسامع الشريفة ، ليحيط بذلك ويتوجه لإنكار ما يقع فى خير البلاد ظلماً وعدواناً . فانا أيها الولاة مسئولون عما قلدنا الله تعالى ، كما قال عليه الصلاة والسلام (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) . (١٨٢ ب) فلابد لنا من الفحص عن أحوال من نوليه على أمور الخلق ، وتغيير الظلم ، وإصلاح الفساد ، ونصر المظلوم من الظالم من العباد ، كما قال عليه الصلاة والسلام (أنصر أخاك ظالماً ومظلوماً . فقالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً . فقال صلى الله عليه وسلم : تأخذ على يديه وتمنعه من الظلم) . وهذا ليس إلا شأن السلاطين ، فانهم قادرون

على أخذ يد الظالم ومنعه عن الظلم ، من بين العالمين ، وفقنا الله وإياكم لإزالة المنكرات ورد المظالم [١] والمحدثات .

فلقد تواترت الأخبار أن من عهد الظالم جانى بك ، قد أزاد ظلماً على الظلم الفاحش فى أخذ العشر . فأول أخذ العشر ظلم صريح لأن الله تعالى إنما أوجب فى الزكاة ربع العشر ، ونحن فى ممالكنا ، حيث وقعت الرسوم بأخذ العشر نخاف مع ذلك [فإنه] لا يؤخذ الربع إلا ممن لم تجب عليه زكاة ، فكيف يجوز أخذ العشر من المسلمين ؟ ثم إذا وقعت الرسوم بأخذ العشر ، فقد تحققنا أن المباشرين بجدة يأخذون فوق العشر ، حتى بلغنا أنهم أخذوا هذه السنة [٢] النصف وما فوقه وما دونه ، على حسب ظلمهم ، على البعض أكثر من البعض . فأوجب علينا خلوص المحبة والوداد إنهاء ذلك ، وفقنا الله وإياكم لإزالة المنكرات ورد الظلمة من الوقوع فى المهالك .

ثم مما نطالع به العلوم الشريفة ، كما تقدمت التمهيدات (١٨٣ ا) أن قصدنا إرسال الرسل والإتحاف بالهدايا وجريان الصدقات والخيرات فى حرم الله الشريف ولجيران قبره الشريف محمد المصطفى . فان حصل ذلك بمساعدة المقام العالى والمجلس السامى ، كما شرحنا وبينا ، برد دار الملاعبة ، والأمر على ولاة مكة وجدة ، ونهيهم عن إيذاء صبياننا وأن يرضوا بما قسم الله لكل واحد فيما يقسم لهم وتعين من الصدقات . فانا لا نرسل درهماً إلا لأشخاص معينين ، [فـ] حيثما يلقى الله فى قلوبنا نعين أسماء [٣] كل من عرفناه ، فان تركنا واحداً وقصرنا فى سهمه عما يدعى أنه يستحق أكثر مما عيناه له ، فلايلوم الرسول فانما على الرسول إلا البلاغ ، ويكتب إلينا فنأمر له فى الحال بزيادة ما قسم الله له . فلله الحمد على أن منّ علينا بمزيد فضله ، وتزداد [فى] كل زمان نعمه علينا . ونحن لا ندخر مثل أبناء الزمان ، بل بتوفيقه وتأييده ، نقسمه على الحدثان فينشرح الصدر . نصرف ذلك على أهل الحرمين الشريفين ،

---

(١) فى الأصل : الظالم .

(٢) لم أستطع أن أحدد ، على وجه الدقة ، السنة التى حدثت فيها هذه الحوادث .

(٣) فى الأصل : بأسماء

لكن بطيبة الخاطر والرضا بما قسم الله لهم إن شاء الله تعالى . فان شرح الله صدر المجلس السامى لذلك ، وقام لله تعالى فى نهيهم وزجرهم ، ونصر المظلوم ، وكتب إليهم بما يتيقنوا أن المجلس السامى قام فى عصبيتنا ، فينتهوا عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، فنقرر بعد ذلك الإدرارات والوظائف لتعمير الأبنية ووظائف الأئمة وغير ذلك (١٨٣ ب) مما قسم الله ويسره ، ويكون المجلس العالى شريكاً فى الأجر الأوفى ، وحائزاً لفضيلة قوله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ (١) إن شاء الله تعالى .

ثم مما يجب إبلاغ المسامع الشريفة ، إنا قد أرسلنا مع رسلنا المذكورين للمجلس العالى ولأمير المؤمنين ، المستنجدى العباسى (٢) ، فبلغنا منهم أن ما كان يختص بالمجلس السامى قد أخذ من جملته نائب جدة ، رجل يسمى الشيخ على (٣) قهراً ، وذلك ألفى دينار . ثم لما ورد أمير الحاج إلى مكة المشرفة استغاثوا منه فأخذهم أيضاً أمير الحاج بالضرب المبرح . وما أرسلنا لقضاة والأئمة وسدنة (٤) بيت الله والقادمين والعاكفين وفقراء الحرم لشريف ، أعطوهم بغير ما عينوا لهم مما اشتهت أنفسهم . ولن يصل شيء مما أرسلنا إلى جناب روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحبسوهم مع جميع من كان معهم حتى لم يستطيعوا أن يبلغوا إلى المجلس السامى . وكان فيما بعثنا إلى المجلس السامى وإلى أمير المؤمنين من الثياب الناعمة والأشياء النادرة ، مما يجلب من هذه الديار إلى هاهنا ، فقد أخذه الظلمة من رسلنا ظلماً وما تركوا شيئاً] يصل إليكم (٥). فهذا ما جرى عليهم من أهل مصر. وأما أهل مكة، فكنا عينا لهم ألفين وسبع مائة وستين أشرفياً ، فأخذوا قهراً أربعة عشر ألف وثلاث مائة (١٨٤ ا) أشرفى .

---

(١) سورة المائدة ، آية رقم ٢ .

(٢) المستنجد بالله يوسف بن المتوكل على الله ، تولى الخلافة فى أوائل رجب ٨٥٩ هـ حتى مات فى ٢٤ محرم ٨٨٤ هـ (الضوء اللامع ، ج ١٠ ، رقم ١٢٤٧ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ؛ تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٧-٢٠٨ ؛ شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٣٣٩)

(٣) على بن رمضان نائب جدة (انظر قبل)

(٤) فى الأصل : سكنة .

(٥) فى الأصل : وما تركوا أن يصل إليكم

ثم لما أردنا فى هذه السنة ، أن نبعث إلى الأبواب الشريفة رسلا بشىء من الهدايا ،لم يجترىء أحد على الإقدام — فان الطريق على جدة ومكة — وقد قاسوا من أهلها ما قاسوا ، فجهزنا ما يسر الله تعالى وبعثناه إلى البنادر ، وسعينا فى تطلب من يختار الإقدام ، فوجدنا كلا منهم معذورين . مما سمعوا وشاهدوا . وقد وقع الإنكار فى قلوبهم وصاروا مستنكفين . وإن أجبرناهم خشينا أن يقع عليهم ما وقع على أولئك الأولين . فأرسلنا حامل الكتاب وهو الشيخ أبوطالب واخوته مختفيين ، بحيث لا يعلم بهم أحد أنهم رسل إلى الأبواب الشريفة وما استطاعوا حمل شىء من الهدايا خوفاً من الرقباء ، فكرهنا خلو أيديهم ، فأرسلنا ما استطاعوا حمله وذلك : قطعة بازهر [1] حيوانى وخاتمين بفصين ، لهما خواص كثيرة ومنافع جمة وهما ترياق لجميع السمومات وشفاء لسائر الأمراض كما ذكرت بعض خواصها فى الفصل . والعقد المكلل بالماس والزبرجد والياقوت الأحمر والدر المركب تسع قطع .

ولما كان فى طلب التحف وإتحاف الهدايا إظهاراً لصفو المحبة وخلوص الألفة ، نسألكم رفع التكليف بطلب ما ترون أنه سيوجد فى ممالكنا . كما نطلب شيئاً من الترياق الفاروق [2] الخاص (١٨٤ ب) ودهن البلسان [3] والسقنقور [4] . والقصد فى ذلك رفع حجاب المكلفات وفتح طريق المراسلات وظهور الخلوص ، وصفو المحبات ، جعلنا الله واياكم من المتحابين فى الله . هذا ونحن نترصد الرسل مع حصول المقاصد ، إن شاء الله تعالى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

وكتب فى غرة رجب الفرد سنة إحدى وسبعين وثمان مائة من الهجرة النبوية .

---

(١) البازهر أو الباد زهر ، حجر ينسب إليه قوى غريبة فى مقاومة السموم ، وهى كلمة فارسية مركبة ، من باد ومعناه روح أو ضد ، وزهر ومعناه سم (محيط المحيط) وهو يخص بحجر الحية (كشاف اصطلاحات الفنون) .

(٢) من أنواع الترياق الأفيون والخمر ، والقطران وهو الترياق التركى (محيط المحيط)

(٣) البلسان شجر أبيض الزهر يستعمل فى الأدوية والعامة تسميه بالسيسبان (محيط المحيط)

(٤) السقنقور أو الإسقنقور هو التمساح البرى وينشأ بشاطىء بحر النيل (محيط المحيط) وانظر : المعتمد فى الأدوية لابن رسول وتذكرة داود ، مادة بلسان وسقنقور .

٢ — رســالة الأشرف قايتباى إلى محمود شاه

(١٩١ ا ـ ١٩٤ ب)

نسخة الجواب الشريف

إلى صاحب مناندواه (١) عن مكاتبته المشروحة

فرسمها : أعز الله تعالى أنصار المقام العالى الكبيرى السلطان العالمى العادلى الملكى المجاهدى الجمالى، أيد الله تعالى ملكه ، وأجرى فى بحار السعادة فلكه، وزاد فى رتب علائه وقسم كافور الثناء ومسكه من صبح يومه ومسائه . ولا زالت آفاق مملكته مشرفة ببقائه ، وقلوب رعيته مبرورة بمعدلته وآلائه ، مبتهلة بالدعاء إلى الله تعالى بارتفاع مجده وارتقائه ، ولا برحت عظماء الملوك مصغية إلى مواقع إشاراته ولوامع أمرائه ، مترقبة أنباء المسرات ونوامى مبرات المودات من تلقائه .

أصدرنا هذه المودة المتجددة والمفاوضة المتوددة ، مخبرة عن سلامة راياتها عالية ، وأجيادها بالنعم والتأييد حالية ، وسعادة بأنوار الميامن طالعة ، ومعدلة الشمل للحقوق جامعة ، وسطوة لذوى الجور والحيف قامعة ، مفصحة عن تحية تشرق صفحاتها ، وتعبق فى الأقطار نفحاتها ، تهدى إلى المقام العالى من السلام ما تتضوع الآفاق عند نشره طيباً ، ومن الثناء ما يقوم عليه كل (١٩١ ب) من فصحاء الآفاق على منابر المحامد خطيباً .

ونبدي لعلمه الشريف أنه لما كانت الأرواح جنوداً مجندة ، وكان الإعلام بالمحبة من الأمور التى هى بنصوص الأحاديث الشريفة مؤكدة ، وجب علينا الإعلام بذلك ، وتعين بطريق المحبة أن يشافه سمعه الشريف بما أنعم الله تعالى علينا ، وبكيفية انتقال الملك الشريف وصيرورته إلينا . وذلك أنه لما انتقل الملك الشهيد السعيد الظاهر خشقدم ، طاب ثراه من دار الفناء إلى

---

(١) انظر تحقيق اسم هذه المدينة فى المقدمة .

دار البقاء ، حصل خلف بين من فوضت السلطنة الشريفة إليه وبين العساكر المنصورة . فاجتمع أهل الحل والعقد ، وذووا الآراء والمشورة ، والخاص والعام ، والجليل والحقير ، والمأمور والأمير ، على قلب واحد ، واتفقت آراؤهم على تفواض السلطنة المعظمة إلينا ، ومسكونا فى ذلك المرة بعد الأخرى ، وترامو علينا ، فامتنعنا عن ذلك غاية الامتناع ، كما شاع به الخبر وذاع . فتراموا على مراحم الإمارة الأعظم ، الخليفة المكرم ، مولانا أمير المؤمنين ، ابن عم سيد المرسلين ، أعز الله تعالى به الدين وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين . وسألوا صدقاته فى مفاوضتنا فى هذا الأمر ، ففاوضنا فيه ، وألزمنا بقبوله ، فلم يسعنا غير امتثال أوامره المطاعة وإجابتها (١١٩٢) بالسمع والطاعة [1] . ففوض إلينا أمير المؤمنين السلطنة المعظمة فى جميع أرض الله تعالى مشرقاً ومغرباً، براً وبحراً ، بعداً وقرباً وما استقلت عليه خلافته واحتوت عليه إمامته [2] ، بحضرة قضاة القضاة ومشايخ الإسلام ، والعلماء الأعلام ، والعساكر المنصورة من الخاص والعام . فتوكلنا على الله حق توكله وسألناه الهداية إلى طريق الحق وسبله ، وقبلنا ما فوض إلينا من ذلك وكفالته [3] غير شاملين عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ، لعبد الرحمن ، (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فانك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها) .

وحال جلوسنا على تخت الملك الشريف بدأنا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإزالة المظالم والأ[خذ] للمظلوم من الظالم . وأول مراسيم سطرت فى صحائفنا الشريفة ، النظر فى أمر جدة المعمورة ، فان أمورها وأخبارها

---

(١) فيما يختص بالحوادث التى تلت وفاة خشقدم فى ربيع الأول ٨٧٢ هـ ، من تولية يلباى وعزله ، ثم تمربغا وعزله ، وأخيرا قايتباى . انظر (النجوم الزاهرة) ، ج ٧ ، ص ٧٦١ ، ٨٢٢ وما يليها ، ٨٣٩–٨٤٢ ، ٨٦١ –٨٦٦ ؛ بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، ج ٢ ، ص ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩–٩٠) .

(٢) فى هذه العبارة إشارة واضحة إلى زعامة سلاطين المماليك للعالم الإسلامى ، ولقد حرصوا دواما ، على التنويه بها عند ذكر ألقابهم فى رسائلهم ومراسيمهم ، وفى الكتابات التاريخية المنقوشة فوق منشئاتهم . ولعل أهم هذه الألقاب ، لقب « سلطان الاسلام والمسلمين » (انظر :
(C. I. A., Egypte, I, p. 273, 299 et suiv.)

(٣) فى الأصل : وكفافته .

كانت عندنا مشهورة . وكتبنا مراسيم شريفة بإبطال ما كان يتضرر منه التجار ، وأن لا يؤخذ منهم سوى العشر صنفاً ، ولا يأخذ أحد من المباشرين منهم هدية ولا رسماً . ونقشنا بذلك رخامة بباب الفرضة ، إطابة لخواطر التجار وأمرنا بإجهار النداء بذلك فى سائر البنادر والأمصار ، ليكون ذلك (١٩٢ ب) مسطراً فى صحائفنا الشريفة على الدوام وعلى مدى الشهور والدهور والأيام . ورسمنا بإفصال المباشرين الذين كانوا معتمدين الفساد ، وأرحنا منهم البلاد والعباد ، وأقمنا نائبنا بجدة المعمورة متصفاً بأوصاف مشكورة وعفة مشهورة ، وبالغنا بتوصيته بالتجار وأن لا يتجاوز ما رسمنا به من ذلك ، وأن يستجلب خواطرهم ، ويسلك معهم أحسن المسالك (١) . وتوجه فى العام الماضى وعمل بما رسمنا له به ، وعادت أجوبة التجار بالشكر منه والرضا به ، وسألونا فى استقراره على عادته ، فأجبناهم إلى ذلك ورسمنا باستمراره على حاله وقاعدته .

ثم أعقب ذلك وصول رسول مقامكم العالى إلى الأبواب الشريفة ، وتمثل بحضرتنا المنيفة ، بما على يده من كتابكم الكريم إلى الشهيد الظاهر المشار إليه ، فبالغنا فى إكرامه وتعظيمه واحترامه . فخاطب مقامنا الشريف أحسن خطاب ، وتأدب فى تأدية الجواب ، وأوصلنا المثال الكريم المشار إليه ، ثم فضضنا ختمه ، ووقعنا عليه وفهمناه جملة وتفصيلا ووجدناه إلى طريق الخير هادياً ودليلا .

فأما ما أشرتم إليه مما منح الله تعالى به ذاتكم الشريفة وشيمكم اللطيفة من حب من إقامه الله تعالى لمصالح (١٩٣ ا) العباد ، ووفقه الله تعالى إلى سبيل الرشاد ، فهذا هو المحقق منكم والمشهور عنكم ، وحق لنا أن نخص مقامكم بالثناء والدعاء بدوام العز والتأييد والبقاء .

وأما ما أشرتم إليه من تجهيز رسلكم إلى مكة المشرفة بما يسر الله تعالى تجهيزه على أيديهم من الصدقات وأنواع المبرات لمن عينتموه من العلماء

---

(١) فى أوائل سلطنته عين قايتباى أبا الفتح المنوفى نائباً لجدة (انظر المقدمة) .

والفقراء وسدنة البيت الحرام وفقراء المدينة الشريفة على الحال بها أفضل الصلاة والسلام ، وما حصل عليهم من الظلمة ومن أمراء الحاج من المشقة والضرر واستيلائهم على ما كان صحبتهم من التحف والهدايا والصرر ، فقد فهمناه وأعاننا الله تعالى على إزالة المظالم والغمم ، وجازينا من فعل ذلك بأبلغ [وأ] شد النقم وسلبناه ما كان فيه من النعم .

وأما ما أشرتم إليه من أمر دار الملاعبة وأنها كانت قد صارت إليكم بالمستندات الشرعية ، وأن جانى بلك استولى عليها استيلاء الغاصب باليد القوية وهدمها وغير صفاتها ومعالمها ، فقد علمناه ، والذى يعرف به خدمة المقام العالى أن الدار المذكورة لو كانت باقية على أوصافها لأمرنا باسترجاعها ، لكنها هدمت وتغيرت وإعادتها على تلك الأوصاف قد تعذرت . فان اقتضى رأيه الشريف إنشاء رباط أو غيره فيعرفنا (١٩٣ ب) به لنصدر[1] أمرنا الشريف بتجهيز من يتولى ذلك ويسلك فيه أحسن المسالك ، ونُنْهى جميع ما تشيرون به على أجمل الصفات وأكمل الأوضاع وأحسن الهيئات .

وقد كتبنا مرسوماً شريفاً إلى أمير مكة المشرفة وقضاتها وأكابرها وحكامها بالإجمال فى تلقى من يفد من قبلكم من الرسل ، وأن يبالغوا فى إكرامهم واحترامهم وتقاضى أشغالهم ورعاية حمايتهم ، والاشتمال على جميع مقاصدهم ومآربهم . ورسمنا لهم بعدم تمكن أحد من التعرض إليهم فيما يصار إلى أيديهم من الصدقات وأن لا يؤخذ زيادة على ما نصت به الرسالة . بما سمحت به خواطركم من المبرات ، سطر الله ذلك فى صحائفكم الشريفة الجميلة وأمتع بطول بقاء ذاتكم الجليلة .

وأما ما أشرتم إليه من أمر القاضى برهان الدين بن ظهيرة وما نقل عنه إلى مسامعكم من الظلم وسوء السيرة ، فنحاشيكم من الإصغاء إلى ما نقل عنه من التحريف والاختلاق ، فقد أجمع العلماء على خيره ودينه ، وأنه عالم الأقطار الحجازية على الاطلاق . وقد كتبنا إليه مثالا شريفاً بأنه يتعاطى جميع

(١) فى الأصل : لندر .

خدمكم على أحسن الوجوه المرضية ، وأن يبالغ فى إكرام من يفد من حضرتكم ويوصى بهم غاية الوصية .

وأما ما أشرتم إليه من (١٩٤ ا) الحشور والنظر فى ذلك بما تحصل به المثوبة والأجور ، فقد انتظم أمر ذلك على أحسن الوجوه وأعمها ، وأكمل القواعد التى انتظم الحال عليها من الدول السالفة وأتمها ، وأن يعمل فى أمر العشر بما أفتت به العلماء الأعلام فى الأيام الأشرفية برسباى (١) سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان . وجل قصدنا الآن ، أن تجار بلادكم ومراكبهم ، لا يختل عن ذلك البحر المديد نظمها ، فان الظلم قد زال ، والمكارم نجانسهم بالطرف من المكارم ، ونقابلهم بوجوه الإقبال ، ونعيدهم ممتلئين من المغانم ، سالمين من المغارم ، لينقلب كل منهم إلى أهله مسروراً ، ويتلو عليهم لسان الإحسان إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً .

وقد وصل ما جهزتموه من الهدية على يد الرسول وشملناها بعين القبول ، وقد عاملنا الرسول المشار إليه بمزيد الإكرام والرعاية والاحترام ، وأعدناه الآن إلى حضرتكم العلية ومملكتكم السنية هو ورفقته معاملين بالخير والإنعام . وجهزنا صحبته على سبيل الهدية ما يؤكد أسباب الوداد ويوثق عرى المحبة والاتحاد : ... مخمل مذهب ، وسيف سقطه ذهب ، [و] طبر (٢) فولاذ (١٩٤ ب) مذهب [و] دبوس (٣) أزدغانى مذهب ، [و] قماش سكندرى (٤)

---

(١) انظر ما جاء فى المقدمة خاصاً بهذه الفتوى وبغيرها .

(٢) طبر جمع أطبار وهو الفأس . والطبزدار هو الذى يحمل طبر – أى فأس – السلطان عند ركوبه فى المواكب وغيرها (السلوك ، طبعة الدكتور زياده ، ج ١ ، القسم الثانى ، ص ٤٢٧ ، حاشية ١ .)

(٣) الدبوس هراوة مدملكة الرأس وكالإبرة من النحاس فى طرفها كتلة صغيرة (السلوك ، طبعه الدكتور زيادة ، ج ١ ، القسم الثالث ، ص ٨٨٦ ، حاشية ٢) .

(٤) اشتهرت الإسكندرية فى العصور الوسطى بانتاج الأقمشة الكتانية والحريرية التى عرفت بها وأطبقت شهرتها الآفاق . وكان بجانب دار الطراز الموجودة بالقاهرة ، دار ثانية بالاسكندرية ، غالبا ما يصنع بها كسوة الكعبة والخلع السلطانية والأثواب الرفيعة التى كان سلاطين المماليك يفخرون=

تفاصيل وشدود [1] وغيرها ، وترياق فاروق ، ودهن بلسان وسقنقور . فبأمر المقام العالى بتسليم ذلك والمواصلة بالأخبار السارة ، والمودات البارة ، والإتحاف بما يعين له من المهمات لزوم [الـ] مرسوم الشريف بقضائها على أجمل العادات . والله تعالى يديم التأييد ويمنحه من الخيرات بكل ما يريد بمنه إن شاء الله تعالى .

كتب فى سابع جمادى الأول سنة ثلاث وسبعين وثمان مائة .

=بتقديمها كهدايا إلى سلاطين المسلمين وأمرائهم . وفضلا عن ذلك ، فقد كان التجار فى مختلف البلاد مثل المغرب وتركيا وسوريا ، والهند ، يتهافتون على شرائها . وفى الهند كان لبس ثياب الاسكندرية مقصوراً على السلاطين وحاشيتهم ، إذ كانت غالية الثمن نادرة الوجود حتى أنها كانت تباع بوزنها فضة ، أما الرعية فكانوا يلبسون الثياب القطنية والحريرية الأقل قيمة .

(انظر :

Wiet : *Les communications en Egypte au Moyen-Age,* dans R.S.R.E.A.S.L.P., T. XXIV, Le Caire, 1933, p. 251 et No. 2; Aly Bahgat: *Les manifactures d'étoffe en Egypte au Moyen-Age,* en M.I.E., Avril 1903, p. 353; Lamm: *Cotton in Medieval textile of the Near-East,* Paris, 1937, p. 244; Piloti, éd. Dopp., p. 35; Spies (O): *Ibn Fadlallah al-Omari's beriht uber, Indiaen in sienem werke Masalik al-Absar,* Leipzig, 1943, p. 27).

(١) شدود جمع شدّ ، وهو عند العامة شال من الحرير يعتم به أو يتمنطق به (محيط المحيط) .